

التجسس الاقتصادي
في الكتاب والسنة

الدكتور سالم أحمد سلامة

الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بالجامعة الاسلامية بغزة

بسم الله الرحمن الرحيم

التجسس الاقتصادي في الكتاب والسنة

* **مقدمة** :-

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ،،،

فقد لفت نظري أن كثيراً من الكتّاب المعاصرين يتناولون موضوع التجسس الاقتصادي على أنه موضوع حديث ظهر في العقود الأخيرة وفوجئت بأن بعض الكتاب يجعل التجسس الاقتصادي وليد عصر التكنولوجيا ومرة ينسبه إلى ألماني ومرة إلى أمريكا .

فمن المعلوم أن التجسس مفهوم عَرِفَه الناس منذ قديم الزمان ، ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً محدداً للتجسس ولا نجانب الصدق وإذا قلنا أن الإنسان عرف التجسس قبل تسجيل وكتابة التاريخ ، وكان بنو آدم يحاولون أن يحصلوا على المعلومات عن أعدائهم منذ ما قبل التاريخ ، فقد ثبت أن الهكسوس كانوا يتجسسون على الفراعنة الأقباط في مصر ،ولينتهزوا فرصة الانقضاض عليهم بأسهل الطرق وأقل الخسائر .

ولن يكون مفهوم التجسس بشتى أنواعه بالشيء الجديد ، ولكن الجديد هو التركيز على الجوانب الاقتصادية للدول ، خاصة الصناعية ، فيحاولون معرفة ما يدور في كواليس العمل الاقتصادي سواء في مجال التجارة الخارجية أو الداخلية أو الإنتاج والتسويق والتكنولوجيا ، وبراءات الاختراع والعلاقات التجارية وغيرها .

وهذا البحث سيتحدث عن تأصيل هذا المفهوم الجديد للتجسس الاقتصادي ومواصفات العاملين فيه ،وتحديد مفهومها ، وخطورتها .

ويقع في ــ مباحث

المبحث الأول : معناه اللغوي

التجسس لغة : هو التفتيش لغةً وعرفاً وهو التفتيش عن بطائن الأمور . قال ابن منظور في لسان العرب : قال اللحياني : تجسست فلاناً ومن فلان بحثت عنه كتحسست . انتهى . ظاهره أنه لا فرق بين التجسس بالجيم المعجم التحتية والتحسس بالحاء المهملة [(١)].

قال في المصباح المنير : جسه بيده جساً من باب قتل ، واجتسه ليتعرفه ، وجس الأخبار ، وتجسسها تتبعها ، ومنه الجاسوس لأنه يتتبع الأخبار ويفحص عن بواطن الأمور وظاهرة أن التجسس لا يختص بالتفحص عن القبائح المستورة [(٢)].

قال في مقاييس اللغة : في معنى جس بالجيم والسين : هو تعرف الشيء بحس لطيف ... والجاسوس فاعول من هذا لأنه يتخبّر ما يريده بخفاء ولطف [(٣)] .

[(١)] لسان العرب لابن منظور ٣٨/٦ مادة جس .

[(٢)] المصباح المنير مادة جس .

[(٣)] مقاييس اللغة مادة جس ٤١٤/١ .

وقال الجوهري في الصحاح : وجسست الأخبار وتجسستها أي تفحصت عنها ومنه الجلوس وحكي عن خليل : الجواس : الحواس [1].

وقال في أقرب الموارد : تجسس الخبر تفحص عنه ، وبواطن الأمور بحث عنها ... الجاسوس والجسيس صاحب سر الشرِّ ، وهو العين الذي يتجسس الأخبار ثم يأتي بها . وقال فيه أيضاً : تحسس استمع لحديث النوم وطلب خبرهم في الخير .. وبالجيم في الشر . وقال في لسان العرب : الحاسوس الذي يتحسس الأخبار مثل الجاسوس بالجيم أو هو في الخير وبالجيم في الشر ، وقيل : التجسس بالجيم أن يطلبه لغيره ، وبالحاء أن يطلبه لنفسه ، وقيل بالجيم البحث عن العورات ، وبالحاء الاستماع ، وقيل : معناهما واحد في تطلب محرمة الأخبار .

وعن الأخفش : ليس تبعد التجسس بالجيم عن التحسس بالحاء ، لأن التجسس البحث عما يكتم عنك ، والتحسس بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها .

وهنا قول ثان في الفرق أنه بالحاء تطلبه لنفسك ، وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره قاله ثعلب .

قال القرطبي في تفسيره بعد نقل الكلام المحكي عن الأخفش : والأول أعرف.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن التجسس لغة وعرفاً لا يختص بما إذا كان التتبع للغير ، بل هو أعم كما يشعر به التعبير عن هذا القول بلفظ : قيل في لسان العرب . نعم لا يبعد ذلك في لفظ الجاسوس .

كما أن الظاهر عدم اختصاص التجسس بالعيوب والشرور والتحسس بغيرها . وهو المستفاد من عبارة المصباح المنير ، والمحكى عن الأخفش ، بل لسان العرب بناء على تخصيص الفرق في كلامه بلفظ الجاسوس . نعم ظاهر أقرب الموارد هو الفرق بين التحسس بالحاء والتجسس بالجيم . فتأمل ، لأن العبرة بمصادرة لا بمنفرداته ، والمصادر لا تفيد اعتبار القيود المذكورة .

هذا مضافاً إلى استعمال التجسس في بعض الأخبار فيما لا يعني ... ويشهد على ما ذكرناه ، صحة إطلاق الجاسوس على جاسوس المخالفين بالنسبة إلى المجتمعات الإسلامية مع أنه تتبع الإيجابيات والكمالات الموجودة في تلك المجتمعات . اللهم إلا أن يُكتفى في ذلك بتوهم الشرور من المخالفين بالنسبة لها .

وكيف كان فما يظهر من الكلمات المذكورة أن التجسس هو تتبع الأخبار ولا دخل للغرض من التتبع في صدق مفهوم التجسس .

وعليه فلا فرق في صدقه بين ما إذا كان الغرض هو الخير أو الشر ،وغرض الخير إن كان له مدخلية فهو في نفي الحكم لا في صدق الموضوع .

ومما ذكر يظهر ما في المحكي عن تفسير ابن كثير رحمه الله أن التجسس طلب الخبر للشر .

<u>تعريف الاقتصاد : لغة :</u> الاقتصاد من قَصَد يَقْصِدُ قصداً فهو قاصد .

والقصد هو استقامة الطريق ،وقوله تعالى : " وعلى الله قصد السبيل[2] " أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة .

---

[1] الصحاح للجوهري مادة جس ٩١٣/٣ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط ٣ .

[2] سورة النحل آية رقم ٩ .

وقوله : " ومنها جائر " أي ومنها طريق غير قاصد .

وطريق قاصد : سهل مستقيم .

وسفر قاصد : سهل قريب . وفي التنزيل العزيز : " لو كان عرضاً قريباً ،وسفراً قاصداً لاتبعوك [١]، قال ابن عرفة : سفراً قاصداً أي غير شاق .

والقصد : العدل ...... " القصد في الشيء : خلاف الإفراط ،وهو ما بين الإسراف والتقتير . والقصد في المعيشة : ألاّ يسرف ولا يقتر .

يقال : فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد .

واقتصد فلان في أمره أي استقام .

وقوله تعالى : " ومنهم مقتصد [٢] " بين الظالم والسابق .

وفي الحديث : " ما عال مقتصد ولا يَعيلُ : أي ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر .

وقوله تعالى : " واقصد في مشيك [٣]" واقصد بزرعك أي أربع على نفسك . وقصد فلان في مشيه إذا مشى مستوياً. ورجل قَصْد ومقتصد ،والمعروف مقصَّدٌ : ليس بالجيم ولا بالضئيل . والجامع للمعاني كلها أنها كلمة تجمع السهل والقريب والوسط والعدل . [٤]

<u>الاقتصاد اصطلاحاً :</u>هو علم بقواعد تساعد على إرواء رغبات الإنسان وحاجاته اللامتناهية ، بكمية الموارد المتناهية المحدودة .

فإن صبغ هذا العلم أو تلك القواعد بصبغة أيدولوجية أخذ صفتها ،وتمذهب بها ،وصار موسوماً وموصوفاً بها ، فكان المذهب الاقتصادي كما يسمى . وقد برزت في القرن العشرين أو في بداياته ،ونتيجة للثورة الصناعية في الغرب ،والثورة البلشفية في الشرق مذاهب اقتصادية متعددة صنفت في اثنين كبيرين : أما الأول فالمذهب الاقتصادي الاشتراكي المقيد ،والذي اصطبغ بصبغة المذهب الأيدولوجي فكان مرآته . والثاني : كان وليد انفصال الدين عن الدولة ، إذ لم يعد الدين بمسيطر على شيء يتعلق بظاهر الإنسان تنظيماً وأحكاماً ،وإنما اقتصر الدين على داخله . فصار ظاهر الإنسان – على حد الزعم – منقطعاً عن الدين ،وإن كان متأثراً به ، منفذاً له ، لأن الدين نفسه يقول له كما تصور معتنقه : أنت حر في اتخاذ الأحكام التي تريد تنظيم حياتك ، دعه يمشي ، دعه يمر.

***حكم التجسس الاقتصادي :**

*** أهمية الاقتصاد في الكتاب والسنة :-**

وقد يعجب الإنسان عند ما يقرأ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن الإسلام حث على امتلاك اقتصاد قوي وحذر من كل ما يقوضه أو يضعفه ، فضبطه عبر تشريعات محكمة شاملة متوازنة .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٤٢ .

(٢) سورة غافر آية رقم ٢٢ .

(٣) سورة لقمان : آية رقم ١٩ .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور ٣/٣٥٣ مادة قصد .

فالآيات التي تناولت البيع ، والأخرى التي تحدثت عن الرهن ، وغيرها التي تخصصت في الكسب ، وغيرها التي نظمت شؤون الدَّين ، والأخرى التي بينت استغلال الموارد ،والأخرى التي حثت على السعي والعمل وغيرها التي نادت بضرورة رعاية المال واستثماره فيما يعود على المجتمع بالخير وهذا بمجمله يعتبر اقتصاداً ولكن الذي يتحلى به اقتصادنا ويتميز به عن غيره من أنظمة الاقتصاد الأخرى هو أن هذه التشريعات وتلك الأحكام جاءت من الله الخالق العليم بالإنسان المحيط به ، المسوِّى لتركيبه ،ويتجلى الأمر وضوحاً إذا ألحقنا بتلك الآيات الكريمة الأحاديث الشريفة التي شرحت وبينت وفصلت وأطلقت وقيدت ما جاءت به الآيات .

فالآيات والأحاديث نظمت المجال المالي والساحة الاقتصادية عند الإنسان بمنطلقات عقدية أو غايات عبودية وأهداف تلامس الإنسان في داخله ، إذ يسعى إلى إرضاء الله في النهاية . وأجمل الاقتصاد ما قام على اعتقاد ،وأدى في نهايته إلى خدمة الإنسان ،وإرضاء الديان ،ولم يغيب الضمير ولا الوجدان .

*** مفهوم التجسس الاقتصادي :-**

يقول الدكتور / محسن الخضيري الخبير الاقتصادي عن مفهوم الجاسوسية الاقتصادية بأنها ذلك النشاط الإنساني الذي يعمل على تأمين الذات بالحصول على البيانات والمعلومات التي تمكننا من المعرفة المسبقة بالوقائع والأحداث والسلوك المستقبلي للكيانات المختلفة والتي قد تؤثر سلباً وإيجاباً على الأمن الاقتصادي للدولة .

ويتحدد مفهوم الجاسوسية الاقتصادية في مهامها التي تقوم بها وفي الأنشطة التي تمارسها ،والدور الذي تلعبه سواء في جمع المعلومات أو زرع العناصر الموالية لها ، أو في ممارسة الضغط لعقد صفقات ، أو في تأمين الذات من أي اختراق أو غيره من الأنشطة المختلفة .

ومن هنا فإن حرف الجاسوسية الاقتصادية وما تملكه من نظام ووسائل تقنية وأدوات تستدعي دائماً التطوير والإحاطة بكل جديد من علم وفن الجاسوسية وتطبيقاتها حتى يمكن الاستفادة منها .

*** ضرورة التجسس الاقتصادي :-**

يؤكد الدكتور محسن الخضيري على أن السرية التامة وحماية أمن نشاط التجسس الاقتصادي يُعد أمراً ضرورياً للغاية بحيث تصبح مهمة الجاسوسية الاقتصادية مزدوجة الجوانب .

فمن جانب تكون مهمتها تأمين ذاتها ضد اختراق العدو المحتمل لها ،وعدم تمكنه من الحصول على معلومات مفيدة .

ومن جانب آخر السعي الحثيث للحصول على كافة البيانات والمعلومات عن العدو المحتمل .

وأساس التجسس الاقتصادي هو اختراق الطرف الآخر اقتصادياً ،ويعتمد على عمليات الزرع والتجنيد للجواسيس ، حيث تتحول العلاقة العابرة إلى علاقة مستمرة بهدف جني الأرباح ، بل إن صفقات القرون – كما يطلقون عليها – لا تتم إلا إذا دعمتها جهود المخابرات والجاسوسية الاقتصادية فهو المحور الرئيسي والخفي وراء كل صفقة دولية .

ويرى د. الخضيري أن الجاسوسية تتضمن شقين هما : الشق الوقائي بمعنى مكافحة مخططات الجاسوسية المعادية ، والشق الثاني الإيجابي ويتمثل في جميع البيانات والمعلومات التي يرغب في الحصول عليها .

وهذا يفيد أن الجاسوسية الاقتصادية هي ذات نطاقين : نطاق إيجابي وآخر سلبي ،والنطاق الإيجابي بالنسبة للطرف الأول يعتبر سلبياً للطرف الثاني ،والنطاق السلبي للطرف الأول يعتبر إيجابياً للطرف الثاني وهكذا لأن كلاً من الطرفين يريد أن يحوز على معلومات الطرف الثاني ، دون أن يمكنه من أن يحوز على شيء من معلوماته . فهي معادلة إطراد عكسي : الإيجابي لطرف يعتبر سلبياً للطرف الآخر وبقدر ما يحصل ويحقق طرف من الأطراف إيجابيات يكون قد حقق سلبيات عند الطرف الآخر .

وحتى نرى أهمية الإقتصاد في حياة الناس ، وأثره عليهم ،فقد ثبت في كتاب الله سبحانه وتعالى أنه جعل القحط على أرض مصر لسبع سنين على التوالي عقاباً لأهل مصر لما عصوا رسل ربهم .

قال تعالى في سورة يوسف على لسان ملك مصر : " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعيرون .... إلى أن قال على لسان يوسف عليه السلام : " قال تزرعون سبع سنين دأباً ، فما حصدتم فذروه في سنبلة إلا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه ويعصرون" ([١])-.

ولقد ثبت في السنة المشرفة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف عليه السلام .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " خمسٌ مضين ، اللزامُ ، والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر "[(٢)] والشاهد في الحديث هو الدخان حيث كان المشركون يرون ما بينهم وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع .

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى اله عليه وسلم وأبطأوا عن الإسلام قال : " اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف : قال فأصابتهم سنة حتى حَصّتْ كل شيء، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى إن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ، ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية : " إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون " [(٣)] قال فعادوا فكفروا فأُخروا إلى يوم القيامة أو قال : فأخروا إلى يوم بدر . قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم: "يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون " [(٤)] قال : يوم بدر.

وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى استخدم سلاح الاقتصاد والجوع على رأسه لتعذيب الذين عصوا رسل الله ، وتأديبهم حتى يرجعوا إلى جادة الصواب .

وهاهو رسولنا صلى الله عليه وسلم يدعو على مشركي قريش بحبس القطر من السماء ،وأن يصيبهم ما أصاب قوم يوسف من قحط وسنة ، لعلهم يرجعون إلى ربهم فيؤمنون به .

[١] - سورة يوسف من آية رقم ٤٢-٤٩ .

[(٢)] رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب في تفسير الفرقان والدخان ٣٤٧،٣٦١/٢ .

[(٣)] سورة الدخان آية رقم ١٥ .

[(٤)] سورة الدخان آية رقم ١٦ .

في رواية عنه أي ابن مسعود رضي الله عنه – قال : " لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إدباراً قال : " اللهم سبع كسبع يوسف " فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام ، فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة ، فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث ، فأطبقت عليهم سبعاً ، فشكا الناس كثرة المطر ، فقال : " اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجذب السحاب عن رأسه ، فسقي الناس حولهم .

قال : لقد مضت آية الدخان ، وهو الجوع الذي أصابهم ، وذلك قوله : " إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون"[١] وآية الروم والبطشة الكبرى وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر .

قال البهيقي : يريد والله أعلم ، البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلها حصلت ببدر .

قال : وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية ، ثم أورد من طريق عبد الرازق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع ، لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن ، فأنزل الله تعالى : " ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون " [٢].

قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين . والله أعلم [٣].

ومن المعلوم بدهياً أن الصناعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بدائية – غير متطورة – وكان عمود اقتصادهم معتمداً على التجارة ، ومبدأ المقايضة هو الغالب عليها . وكانت مكة المكرمة بساكنيها القرشيين وما حولها من الأحابيش تعتبر مركزاً تجارياً هاماً لما فيها من الأسواق في المواسم ولما لها من خاصية البلد الحرام ومهوى القلوب والأفئدة .

فكان القرشيون يعتمدون اعتماداً يكاد يكون كاملاً على التجارة . ولذا من أراد أن يؤثر على القرشيين ، لا بد له أن يهددهم في مركز اقتصادهم وهي التجارة . ولهذا كان لقريش علاقة خاصة مع العرب والأعراب الذين يعيشون على طريق تجارة قريش شمالاً وجنوباً ... وكانوا يعقدون معهم أحلافاً ومعاهدات حتى يؤمنوا طريق تجارتهم وشريان حياتهم .

فإذا أخذنا هذا الجانب بعين الاعتبار فإن التجسس الاقتصادي في تلك الحقبة من الزمن كان منصباً على معرفة سير القوافل وعدد حراسها .

وهذا ما سنثبته من سيرة المصطفى ﷺ .

بعد نزول قوله سبحانه وتعالى : " أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير " [٤]وهذا إذن من الحق لرد العدوان ، ولم يفرض القتال على المسلمين بعد .

---

[١] سورة الدخان آية رقم ١٥ .

[٢] سورة المؤمنون آية رقم ٧٦ .

[٣] (السيرة النبوية لابن كثير ٢/٩٠-٩١) .

[٤] سورة الحج آية رقم ٣٩ .

فكان من الحكمة أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طريق قريش التجارية المؤدية من مكة إلى الشام وبالعكس ، لاستخدام السلاح الخطير في المعارك وهو السلاح الاقتصادي أي الحرب الاقتصادية عن طريق قطع الطريق التجاري أو المقاطعة وعدم التعامل مع الأعداء اقتصادياً .

فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسط السيطرة على طريق مكة الشام التجاري ، ولإحكام السيطرة عليه خطتين عظيمتين :-

الأولى : عقد معاهدات الحلف أو عدم الاعتداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق ، أو كانت تقطن ما بين هذا الطريق وما بين المدينة المنورة ،وكان لها فائدتان :

١- أن تكون هذه القبائل سلماً للمسلمين فلا يخاف جانبهم ،ولا يعتدون على سرايا النبي ﷺ التي سيرسلها لملاحقة أو ملاحظة ومراقبة قوافل قريش التجارية .

٢- أن يكونوا عيوناً له يخبرونه ببعض تحركات قريش العسكرية والتجارية .

الثانية : إرسال البعوث من الغزوات والسرايا واحدة تلو الأخرى إلى هذا الطريق ، وإلى غيره من الطرق التجارية.

وهكذا بدأ نشاط الحرب الاقتصادية والعسكرية للمسلمين لإحكام الحصار والحرب الاقتصادية وقاموا بحركات عسكرية هي أشبه بالدوريات الاستطلاعية – وهو ما يسمى اليوم بالتجسس اقتصادي – وكان المطلوب من الدوريات الاستطلاعية هو الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة المنورة ، والمسالك المؤدية إلى مكة المكرمة ، وعقد المعاهدات مع القبائل التي مساكنها على هذه الطرق ،و إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء ، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم ،وأصبحوا يهددون قريشاً في طرق تجارتها بتفاقم الخطر على اقتصادها ، وأسباب معايشها .

وهذه بعض السرايا والغزوات التي أخرجها النبي ﷺ للاستطلاع في الحرب الاقتصادية والتي نوضح فيها أهمية التجسس الاقتصادي لضرب العدو .

١- سرية سيف البحر في رمضان سنة ١ هـ الموافق ماس ٦٢٣م أمّر رسول الله ﷺ على هذه السرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ،وبعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد إلى سيف البحر [١] من ناحية العيص [٢] يعترضون عيراً لقريش جاءت من الشام أو فيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل ، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص ، فالتقوا واصطفوا للقتال ، فمشى مجدي بن عمرو الجهني – وكان موادعاً للفريقين جميعاً – بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا [٣] .

٢- سرية رابغ في شوال سنة ١ هـ – أبريل سنة ٦٢٣م بعث رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكباً من المهاجرين فلقي أبا سفيان – وهو في مائتين – على بطن رابغ ، وقد ترامى الفريقان بالنبل ولم يقع قتال .

---

(١) سيف البحر : ساحله.

(٢) العيص : "العيص بكسر المهملة – مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر " قال أبو ذر : " العيص هنا موضع ،وأصل العيص منبت الشجر وهو الأصل أيضاً : وقال ياقوت عن ابن اسحق : " العيص : من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون منها إلى الشام " أ . هـ معجم البلدان ١٧٣/٤ .

(٣) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لأبو هشام ، بعناية المرحوم الشيخ محمد محي الدين عبد المجيد ٢٢٩/٢٠-٢٣٠ .

وفي هذه السرية انضم رجلان من جيش مكة إلى المسلمين وهما المقداد بن عمرو البهراني [٤] حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

في هذه الغزوة رمى سعد بن أبي وقاص يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الإسلام ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية [٥] .

وإن حصول المسلمين على المعلومات عن هذه القافلة مكنهم من الخروج للقائها وزرع الرعب في قلب تجار قريش . مع أن التجارة هي عصب اقتصادهم .

٣- سرية الخرّار [١] في ذي القعدة سنة ١ هـ الموافق مايو سنة ٦٢٣م بعث رسول الله ﷺ سعد ابن أبي وقاص في عشرين راكباً يعترضون عيراً لقريش وعهد إليه ألاّ يجاوز الخرار ، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل حتى بلغوا الخرار صبيحة خميس ، فوجدوا العير قد مرت بالأمس [٢] .

٤- غزوة الأبواء [٣] أو ودان [٤] في صفر سنة ٢ هـ الموافق أغسطس سنة ٦٢٣هـ خرج رسول الله ﷺ بنفسه بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عبادة في سبعين رجلاً من المهاجرين خاصة ، يعترض عيراً لقريش حتى بلغ وَدَّان فلم يلق كيداً .

وفي هذه لغزوة عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مَخْشيٍّ الضمري ، وكان سيد بني ضمرة في زمانه . ونص المعاهدة هو :-

" هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة ، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم ، إلا أن يحاربوا دين الله ، ما بل بحر صوفة . وأن النبي ﷺ إذا دعاهم لنصره أجابوا " [٥]

وهذه المعاهدة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم هي معاهدة حلف مع بني ضمرة ، وهكذا جعلهم النبي ﷺ في صفه ، وعيناً له يخبرونه بكل تحركات قريش على طريق قوافلها الذاهبة والآيبة من وإلى الشام وهذا نوع من أنواع التجسس الاقتصادي في ذلك الحين ، ليقطع على قريش طريق اقتصادها وشريان حياتها.

٥- غزوة بواط [٦] في شهر بيع الأول سنة ٢هـ الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣م خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحى ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير ، فبلغ بواطاً من ناحية

---

[٤] المقداد بن عمرو البهراني : بالباء الموحدة التحتية ثم هاء ثم راء مهملة ثم نون موحدة فوقية ثم ياء مثناة تحتية مشددة .

[٥] سيرة ابن هشام ٢٤٢/٢ . الرحيق المختوم ص٢١٩ .

[١] الخرار : بالفتح والتشديد – موضع بالقرب من الجحفة ،وقيل وادي من أودية المدنية . معجم البلدان ٣٥٠/٢ .

[٢] سيرة ابن هشام ٢٣٨/٢ الرحيق المختوم ص ٢١٩ .

[٣] الأبواء بالباء الموحدة التحتية : قال ياقوت : " قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقيل الأبواء : جبل على يمين آراه ويمين الطريق للمرور إلى مكة من المدينة وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل . وقال السكر ى : الأبواء : جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غبر الخزام والبشام وهو لخزاعة وضمرة ... وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ أ.هـ معجم البلدان ٩٧/١ قلت : وهي ما بين مكة والمدينة على خط سير القوافل.

[٤] وَدّان : بفتح الواو وتشديد الدال المهملة وآخره نون : قرية جامعة بين مكة والمدينة من نواحي الفرع ، بينها وبين هر شى ستة أميال ، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال ، قريبة من الجحفة ،وهي لضمرة وغفار وكنانة ... وقال أبو زيد : ودان من الجحفة على مرحلة بينها وبين الأبواء على طريق الحاج في غربيها ستة أميال. قاله ياقوت في معجم البلدان ٣٦٥/٥ .

[٥] أنظر المواهب اللدنيى وشرحه للزرقاني ٧٥/١ .

[٦] بواط بضم الباء الموحدة التحتية وآخره طاء مهملة ،ورضوى جبلان فرعان أصلهما واحد من جبال جهينة مما يلي طريق الشام معجم البلدان ٥٠٣/١ بينه وبين المدينة حوالي أربعة برد قاله السهيلي .

رضوى ، ولم يلق كيداً [٧] . وكان لسماع هذا الخروج لملاقاة القوافل الأثر الشديد على قريش مما أدخل الرعب في نفوس تجارها وأصبحوا لا يأمنون على تجارتهم ذاهبة أو آبية .

٦- غزوة سفوان وهي التي تسمى غزوة بدر الأولى في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـ الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣هـ أغار فيها كرز بن جابر الضمرى في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة ، ونهب بعض المواشي . فما كان له أن يفعل هذا بنجاح لولا أن كان له عيون يخبرونه بمكان وزمان الإغارة الآمنين .

وفعلاً أغار ونهب واستطاع أن يفلت ، إذ خرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من أصحابه لمطاردته حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ،ولكنه لم يدرك كرزاً وأصحابه ، فرجع من دون حرب [١] .

٧- غزوة ذي العُشَيرة [٢] حيث كانت في شهر جمادى الأولى وجمادى الآخرة سنة ٢هـ الموافق نوفمبر وديسمبر سنة ٦٢٣م ، خرج رسول الله ﷺ في خمسين ومائة ،ويقال في مائتين من المهاجرين ،ولم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ، يعترضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام وقد جاء الخبر بفصولها من مكة فيها أموال لقريش ، فبلغ ذا العشيرة فوجد العير قد فاتته بأيام ، وهذه هي العير نفسها التي خرج النبي ﷺ في طلبها حين رجعت من الشام ، فصارت سبباً لغزوة بدر الكبرى .

وفي ختام هذه الغزوة عقد رسول الله ﷺ معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة [٣] [٤] وهذا يبين أثر الاستطلاعات الاقتصادية أي الجاسوسية الاقتصادية . فكانت هذه الغزوة واستطلاعاتها نواة معركة بدر الكبرى والتي هب فيها النبي ﷺ وصحبه للاستيلاء على القافلة التي أفلتت منه في الذهاب .

٨- سرية نخلة وكانت في شهر رجب سنة ٢ هـ الموافق يناير سنة ٦٢٤م حيث بعث رسول الله ﷺ الصحابي الجليل عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثنى عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعير .

وكان رسول الله ﷺ قد كتب له كتاباً وأمره ألاّ ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين فإذا فيه : " إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم " فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضى إلى نخلة أرصد بها قريشاً حتى أتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن استكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد ،وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمَعْدن [٥] فوق

---

[٧] سيرة ابن هشام ٢/٢٣٣-٢٣٣ ،وأنزر السيرة النبوية لابن كثير ٢/٣٦١ الرحيق ص ٢٢٠ .

[١] سيرة ابن هشام ٢/٢٣٨ السيرة النبوية لابن كثير ٢/٣٦٤ الرحيق المختوم ص٢٢٠ .

[٢] العشيرة بضم العين المهملة مصغراً ،وتروى بالسين " العسيرة" ،والعشير مصغراً بدون هاء في آخره ، وتروى بالسين . وذا العشيرة وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة . معجم البلدان ٤/١٢٧ .

[٣] قال الزرقاني : "وتقدم في ودان أنه وادع بني ضمرة ، فلعلها تأكيد للأولى ، أو أن حلفاء بني مدلج كانوا خارجين عن بني ضمرة لأمر ما وبسببه حالفوا بني مدلج " أ.هـ .

[٤] السيرة لابن هشام ٢/٢٣٤-٢٣٧ ، السيرة لابن كثير ٢/٣٦١ ، الرحيق ص٢٢١ .

[٥] مَعْدِن : هي معدن البُرم بضم الباء وسكون الراء . قال عرّام : قرية بين مكة والطائف يقال لها المعدن ، معدن البرم ،كثيرة النخل والزروع معجم البلدان ٥/١٥٤

الفُرْع [٦] يقال له بحران [٧] أضَلَّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلفا عليه في طلبه [٨] .

فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم . فأشرف لهم عُكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمِنوا ، وقال عُمّار لا بأس عليكم منهم .

وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم .

ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ،وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم به كيسان ،وأفلت القوم نوفل ابن عبدالله فأعجزهم .

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس ، فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ،وذلك قبل أن ينزل الخمس .

قال :ولما نزل الخمس نزلى كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله ابن اسحاق [١] فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف العير والأسيرين ،وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم ،وظنوا أنهم قد هلكوا ،وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ،وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم ،وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال .

فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان .

وقالت يهود : تفائل بذلك على رسول الله ﷺ : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله.

عمرو : عمرت الحرب ،والحضرمي : حضرت الحرب . وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب ، فجعل الله لك عليهم لا لهم .

---

[٦] الفُرُع بضم أوله ،وسكون ثانيه وأخره عين مهملة هو جمع إما للفرع مثل سَقْف وسقف وهو المال الطائل المعدّ ،وإما جمع الفارع مثل بازل وبزل وهو العالي من كل شيء الحسن ،وإما جمع الفرعَ ، بالتحريك ، مثل فَلَك وفُلك ، كانت الجاهلية إذا تمت إبل أحدهم مائة قدم منها بكراً فنحره لصنمه فذلك الفَرَع — بالتحريك — والفَرَع أيضاً طول الشعر (والفرع قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية يُرد على طريق مكة ، وقيل أربع ليالٍ ، فيها منبر ونخل ومياه كثيرة ،وهي قرية غناء كبيرة ،وهي لقريش الأنصارية ومزينة ،وبين الفرع والمر يسيع ساعة من نهار . وهي كالكورة وفيها عدة قرى ومنابر ومساجد لرسول الله ﷺ . قال ابن الفقيه : فأما أعراض المدينة فأضخمها الفُرع وبه منزل الوالي وبه مسجد صلى به النبي ﷺ . وقال السهيلي : هو بضمتين ، قال : ويقال : هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة ،وهي من ناحية المدينة ،وفيها عينان يقال لهما الرَّبَض والمنجف تسقيان عشرين ألف نخلة ٢٥٢/٤ معجم البلدان.

[٥] بُحران : بضم الموحدة التحتانية وبالفتح موضع بناحية الفُرُع . قال الوافدي : بين الفرع والمدينة ثمانية برد ،وقال ابن إسحاق : هو معدن بالحجاز في ناحية الفرع.

[٦] السيرة لابن هشام ٢٣٨/٢-٢٤٠ معجم البلدان ١-٣٤١ والسيرة لابن كثير ٣٦٦/٢-٣٦٧ .

[١] السيرة لابن هشام ٢٤٠/٢-٢٤١ . السيرة لابن كثير ٣٦٦/٢-٣٦٧ .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ : " يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه ، قل: قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا [٢] .

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفق ، قبص رسول الله ﷺ العير والأسيرين ،وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم به كيسان فقال رسول الله ﷺ : " لا نفذيكموهما حتى يقدم صاحبانا ، يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ، فإنا نخشاكم عليهما . فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم " .

فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ . فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

قال ابن إسحاق : فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاةُ نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم : " إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم [١] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء . (٢) (٣)

هذه السرايا والغزوات جميعها وإن كانت عسكرية في ظاهرها إلا أنها كانت خدمة للاستطلاع (التجسس) الاقتصادي والذي هو العمود الفقري للحرب العسكرية .

لأنه لا يعقل أن يخوض جيش حرباً عسكرية دون أن يكون له اقتصاد قوي يسنده ويشد من أزره ،وهذا سنعرض إليه في معركة بدر الكبرى والتي كان سببها الاستيلاء على القافلة الكبيرة المحملة بالتجارة من الشام إلى مكة مقدارها ألف ناقة توازي في أيامنا هذه ألف مقطورة محملة بالبضائع طعاماً وشراباً وكساءً . ومثلها معركة أحد حيث كان أول استعداد المشركين في هذه الحرب أنهم احتجزوا العير (١٠٠٠) الألف أي القافلة التي خلص بها أبو سفيان نجياً وهي التي كانت سبباً لمعركة بدر الكبرى ، أن احتجزوها ،وقالوا للذين كانت فيها أموالهم : " يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم ،وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأراً ، فأجابوا لذلك ، فباعوها ، فكانت ألف بعير ، والمال خمسين ألف دينار وفي ذلك أنزل الله تعالى : " إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ،والذين كفروا إلى جهنم يحشرون[٤]"

ولعل سائلاً يسأل كيف نعتبر السرايا والغزوات والاستطلاعات العسكرية جاسوسية اقتصادية ؟

الجواب : **أولاً** : كانت هذه السرايا تخرج سراً ،ولا يدري بها أحدٌ إلا أقرب الأقربين ، وكان أغلبها لاستطلاع تجارة قريش وقطع طريق اقتصادها .

---

[١] سورة البقرة ٢١٧ لابن هشام ٢٤١/٢ السير النبوية لابن كثير ٣٦٨/٢ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢١٨ .

[٣] السيرة لابن هشام ٢٤٢/٢ وابن كثير في السيرة ٣٦٩/٢ .

[٤] أخذت تفاصيل هذه السرايا والغزوات من كتاب زاد المعاد ٨٣/٢-٨٥ وسيرة ابن هشام ٢٢٣/٢-٢٤٣ ورحمة للعالمين ١١٥/١-٤٧٠ والرحيق المختوم ٢١٨/٢٢٣ ،وفي المصادر اختلاف في ترتيب الغزوات والسرايا وفي تعيين الخارجين فيها ، فاعتمدنا ما حققه العلامة ابن القيم في زاد المعاد والعلامة المنصورفورى في رحمة للعالمين والمباركفوري في الرحيق المختوم .

[٤] سورة الأنفال آية رقم ٣٦ .

ثانياً : لم يكن النبي ﷺ يُعلم أحداً عن وجهتها الحقيقية فكان صلى الله عليه وسلم من عادته يعمّي ويموهم في جميع سرايا وغزواته إلا ما كان في معركة تبوك ، لبعد الشقة ، ووقت الشدة ،والصيف والقيظ ، ومحاربة بني الأصغر (الروم) وهي أكبر إمبراطورية في ذلك الوقت والجاسوسية تكون سراً .

ثالثاً : كانت موادعته للأعراب الذين يسكنون ما بين مكة والمدينة وعلى الطرقات المؤدية إلى الطائف أو إلى الشام ساعده في الحصول على أخبار المشركين الاقتصادية أو العسكرية بطريقة سرية .

رابعاً : هذا لا يمنع أن يكون له من العيون والجواسيس من يخبرونه بما ينوي المشركون فعله ،وما يحتاطون له ، وهذا ما ثبت في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كان يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية فلما تحرك جيش قريش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ ضمنها جميع تفاصل الجيش ،وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة ، وجد في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة – التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلو متراً – في ثلاثة أيام ،وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء .

وقرأ الرسالة على النبي ﷺ أبي بن كعب فأسرهُ بالكتمان ، وعاد مسرعاً إلى المدينة لتبادل الآراء ومشورة الصحابة والاستعداد للمعركة .

ولم يحتفل لها رسول الله ﷺ احتفالاً بليغاً ، فقال : من كان ظهره حاضراً فليركب معنا ،... وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه عشرين رجلاً ، وبعث رسول الله ﷺ .

* معركة بدر الكبرى :-

لقد تجلى فن الجاسوسية الاقتصادية في معركة بدر الكبرى أكثر من غيرها ، خاصة أن الفريقين الأول وهو الفريق الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ والثاني بقيادة أبي سفيان بن حرب قائد القافلة ،وكل منهم يتجسس أخبار الآخر ، ويقدر ما يحصل أحدهما على أخبار الآخر دون أن يمكنه من الحصول على أخبار نفسه بقدر ما يكون أنجح من الآخر . وها هي أخبار معركة التجسس الاقتصادي وأسبابها .

قال ابن إسحاق : " لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم . وقال : " هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها " ولم ننس أن غزوة ذي العشيرة كانت نواة هذه الغزوة .

يقول الصالحي في سبل الهدى والرشاد : " السبب في خروج النبي ﷺ أنه سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبلٌ من الشام في ألف بعير لقريش منها أموال عظام ،ولم يبق بمكة قريشي ولا قريشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في البعير . فيقال : إن فيها خمسين ألف دينار . ويقال : أقل ،وفيها سبعون رجلاً راكباً كما ذكر ابن عقبة وابن عائذ ..

وقال ابن اسحق : ثلاثون أو أربعون .. وهي التي خرج لها من قبل وهي ذاهبة إلى الشام حتى بلغ العشيرة فوجدها قد مضت . وندب المسلمين للخروج معه ... فانتدب الناس فخف بعضهم ،وثقل بعض . وتخلف عنه بشر كثير ،وكان من تخلف لم يُلَم ،وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً ،ولم يحتفل لها رسول الله ﷺ قبل خروجه من المدينة لعشر ليال طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام التجسسان خبر العير ، فبلغا أرض الخوار [1] ، فنزلا على كَثيِّر بن مالك الجهني رضي الله عنه فأجارهما ،وأنزلهما وكتم عليهما حتى مرت العير ، ثم

[1] الخوار : بضم أوله وآخره راء مهملة قرية في وادي ستارة من نواحي مكة قرب بُرْزَة فيها مياه ونخيل . معجم البلدان ٢/٣٩٤ .

خرجا وخرج معهما كثير خفيراً حتى أوردهما ذا المروة ، فقدما ليخبروا رسول الله ﷺ فوجداه قد خرج . وهكذا يفيد أن رسول الله ﷺ لم يعتمد على خبر رسوليه رضي الله عنهما ، بل كان له عيون آخرون يخبرونه بأخبار القافلة ، وإلا كيف وجداه رضي الله عنهما قد خرج قبل وصولهما ؟! .

وأدرك أبا سفيان رجل من جُدام بالزرقاء من ناحية معان ، فأخبره أن رسول الله ﷺ ، قد كان عرض لعيره في بدانية ، وأنه تركه مقيماً ينتظر رجوع العير . فخرج أبو سفيان ومن معه خائفين للرصد ، ولما دنا أبو سفيان من الحجاز جعل يتحسس الأخبار ،ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر لك ولغيرك ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالاً ، فبعثه إلى مكة وأمره أن يجدع بعيره ، ويحول رحله ،ويشق قميصه من قبله ودبره إذا دخل مكة ،ويأتي قريشاً ويستنصرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً ﷺ قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة ، وفعل ما أمره به أبو سفيان [٢]

والناظر في الرواية يجد أن أبا سفيان رضي الله عنه أخذ يتحسس أخبار النبي ﷺ وهو في بلاد الشام في معان وهي في جنوب الأردن الآن . فخرج أبو سفيان ومن معه خائفين للرصد ، وأكثر من تجسس الأخبار لما دنا من الحجاز ،وأخذ يسأل كل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس . ولما أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر له ولعيره ، حذر عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالاً وأرسله إلى مكة .

وهذا يفيد ما يدفعه المتجسس له للجاسوس الذي يريد أن يوصل المعلومة الخطيرة إلى من يعنيه الأمر.

<u>الأنصار يهددون قريشاً بقطع طريقها على المدينة المنورة ومنها إلى الشام :</u>

لقد عرف العرب أثر الاقتصاد على حياة الناس ، وبخاصة عند أناس لا يملكون من مقومات البلد إلا التجارة والتي هي رأس مالهم يعيشون عليه . فليس عندهم صناعة ولا زراعة يؤمن بها .

فها هو الإمام البخاري يخرج في كتاب المغازي ، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر ، وإخراج الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب المغازي يعتبر دليلاً على فقه البخاري العظيم حيث قال العلماء " فقه البخاري في تبويبه " . ففي إخراجها في كتاب المغازي دليل على أنها من الحرب ، بل هي من أخطر الحروب . ونترك البخاري يحدث حديثه بسنده المتصل عن ابن مسعود رضي الله عنه " حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية .

فلما قدم رسول الله ﷺ انطلق سعد بن معاذ معتمراً ، فنزل على أمية بمكة . قال سعد لأمية : أنظر لي ساعة خَلْوَة لعلي أطوف بالبيت ، وخرج به قريباً من نصف النهار . فلقيهما أبو جهل ، فقال : يا صفوان ، من هذا معك ؟ قال : هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أوتيتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينوهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً .

فقال له سعد ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة .

---

[٢] سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/٣١-٣٢ .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنه سيد أهل الوادي . قال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنهم قاتلوك " قال : بمكة ؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً ... الحديث .

نعم إن سعد بن معاذ رضي الله عنه يهدد سيد الوادي أبا جهل على مسمع من أبي صفوان أمية بن خلف : " أما والله لئن منعتني هذا – الطواف بالبيت – لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة " ونفيد من حديث البخاري أموراً عدة :-

أولاً : إن سعد بن معاذ يرفع صوته ويهدد سيد الوادي أبا جهل أمام أمية بن خلف ولا يهدد سعد أبا جهل إلا وهو متأكد أنه يحمل السلاح الأقوى .

ثانياً: إن سعداً يهدد أبا جهل وهو في عقر داره عند البيت الحرام وفي مكة المكرمة ،وهذا يدل على أنه يركن على ما يهدد أبا جهل به .

ثالثاُ : إن سعداً علم أن قطع طريق التجارة من وإلى بلاد الشام على أهل مكة ، وهي شريان الحياة عندهم ، يعلم أنها أشد عليهم من غيرها ، وأنها تعتبر قاصمة الظهر .

رابعاً : إن سعد بن معاذ رضي الله عنه كان يعلم أثر الحرب الاقتصادية على مكة وأهلها .

ومن المعلوم أن الحرب الاقتصادية لابد لها من إعداد إيجابي وسلبي ، ومعنى الإعداد الإيجابي أن يستطيع أحد الطرفين أن يخترق الآخر ، ويحصل على معلومات عن قوة اقتصاده ، وما يزيده قوة وما يضعفه وكيف يستطيع الحصول على المعلومات التي تساعده في تخريب اقتصاد الطرف الآخر .

وهذا ما يسمى في أيامنا هذه حرب المعلومات والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمدخل الصراعي للاقتصاد على أساس الانقسام إلى حليف أو خصم .

ولعل ألمانيا هي من أوائل من أدخل الحرب والتجسس لخدمة أهداف اقتصادية بصيغتها الحالية في عصرنا الحديث على أساس معلوماتي محوسب .

والإعداد السلبي هو المحافظة على المعلومات الخاصة باقتصاد الطرف الأول دون السماح للتلصص أو التجسس من أي طرف آخر ، لأن يطَّلع على مخططاتك المستقبلية ، وصفقاتك المبيعية ، حتى لا يسبقك أو ينافسك على ما ترنو عينك إليه .

وإن من أوضح الأمثلة على فاعلية التجسس الاقتصادي تلك المعلومات الاقتصادية الخطيرة والتي نقلها عيون الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بلاد الفرنجة ، أن ملك الفرنجة سيضرب الاقتصاد الإسلامي ويصك عملة جديدة يتهجم فيها على نبينا محمد ﷺ ، وكانت النقود الرومانية هي النقود المستعملة في البيع وسائر المعاوضات فأحسنَّ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بالحرج وتعقيد الموقف ،وحاول الخروج من المأزق الاقتصادي هذا فلم يهتد إلى طريقة منقذة ، فأشار عليه بعض من استشارهم بأن يستدعي الإمام الباقر محمد ابن علي بن الحسين رضي الله عنهم من المدينة المنورة ، ويعرض عليه هذه المشكلة الاقتصادية ، فكتب الخليفة إلى عامله على المدينة المنورة ، بأن يطلب من الإمام محمد بن علي الباقر التوجه إلى دمشق ولقاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، فتقدم الإمام الباقر والتقى الخليفة عبد الملك بن مروان وبحث تلك المشكلة الاقتصادية الخطيرة ، فأشار الباقر على الخليفة الأموي أن يتم استبدال النقد الرومي بنقد إسلامي ، وتصنع النقود في بلاد المسلمين ، وتقطع العلاقة الاقتصادية معهم ،

وتحرر بلاد المسلمين وسمعتهم من الضغوط الرومانية وحدد له الكيفية والوزن ، فاقترح الإمام الباقر أن توضع سورة التوحيد على أحد وجهي الدرهم ،وذكر الرسول محمد ﷺ على الوجه الآخر ، وأن يوضع على مدار الدرهم والدينار اسم البلد الذي يصنع فيه والسنة التي يضرب فيها " [1] .

وهكذا قطع الخليفة عبد الملك بن مروان الطريق على الروم وملكهم أن يتلاعبوا باقتصاد المسلمين وأن يسيئوا إليهم في دينهم .

كما أن هذه الضربة الاقتصادية أجبرت الروم وتجارهم على اعتماد الدينار والدرهم الإسلامي ، واعتماده عملة وحيدة في بلاد المسلمين ، كما أجبرتهم على شراء الدينار والدرهم الإسلامي بالذهب الخالص أو البضاعة ، ومنع استعمال عملة الإفرنج رويداً رويداً ، حتى أصبح الدينار والدرهم الإسلامي هي العملة الوحيدة المستعملة في بلاد المسلمين ، وكفى الله المؤمنين شر أعدائهم بتخريب اقتصادهم بدراهم أو دنانير مزيّفة ، أو الإساءة إليهم في دينهم.

* عولمة التجسس الاقتصادي :-

لقد تطور العلم في القرنين الماضيين (التاسع عشر والعشرين) الميلاديين ،وأصبحت الحركة الاقتصادية مرتبطة بنواحي كثيرة ، بالصناعة والإعلام والتكنولوجيا والصحافة والاتصالات وفي شتى المجالات ، مما أوجد ثقلاً شديداً على التجسس الاقتصادي . وإننا نرى أن هذه المهنة – التجسس الاقتصادي أيضاً تطورت بدرجة كبيرة ،واستفادت من هذه التقنيات والتطور العلمي في شتى المجالات ، وأصبحت من المهن الأكثر تعقيداً إذ إن حاجتها أصبحت لأناس أشد ذكاءً وأصحاب قدرات كبيرة ومتنوعة .

لا أحد ينكر أن العالم أصبح وكأنه بمثابة القرية الصغيرة وأن الأقمار الصناعية تستطيع أن تلتقط أرقام لوحات السيارات في معظم دول العالم وتصور الأشخاص . لكن هذه الأقمار على ما أوتيت من قدرة على تصوير ما حدث على الأرض إلا أنها لا تستطيع أن تتعرف أو تنقل ما يدور في عقول المفكرين على الأرض .

وهذا يعني أن عالمنا اليوم – رغم التقدم العلمي وتكنولوجيا التجسس – ما زال فيه أسرار يسعى البعض للحصول عليها ، وخير شاهد على ذلك ما كان من أحداث يوم ٢٠٠١/٩/١١م حيث وقف التقدم العلمي وتكنولوجيا التجسس أمامها مشدوهاً . وهذه كانت أكبر ضربة اقتصادية عالمية ضمن حرب التجسس الاقتصادي العالمي الحديث .

وفي المجال الاقتصادي يمكن من خلال المعلومات والتصميمات والرسومات المتعلقة بالمشروعات الاقتصادية لإحدى الشركات العالمية اكتساح الأسواق في العالم محققة أرباحاً هائلة ، إذا تمكنت هذه الشركة من الحفاظ على سرية هذه المعلومات والتصميمات والرسومات – وهو ما يسميه الإعداد السلبي – .

أما إذا تسربت هذه الأسرار إلى الشركات المنافسة فإن سيطرة هذه الشركة على الأسواق العالمية تنهار ، مما يعطي للمنافسين فرصة لتحقيق أرباح كبيرة .

---

[1] دائرة المعارف البريطانية ط٣ ، ٩٠٤/٧ .

ومن هذا المنطلق ولد التجسس الاقتصادي التكنولوجي المعولم كمفهوم جديد في عالم الاقتصاد الدولي الراهن ، وفي عالم المخابرات ، وأصبح يستخدم في مجال الصراع السياسي والاقتصادي بين الدول والشركات والأفراد . وما تغيير ثلاثة رؤساء خلال أقل من أسبوع في الأرجنتين قبل أشهر قليلة إلا دليل على تحكم الاقتصاد في السياسة .

وقد تنوعت مجالات التجسس في العالم اليوم لتغطى جميع مجالات النشاط الاقتصادي : إنتاجي ، وتسويقي وتكنولوجي وغيرها من المجالات . وقد كشفت حالات التجسس الاقتصادي بين الدول والشركات عن حقيقة هامة مفادها : أن التجسس الاقتصادي قد انتشر مع تزايد موجات العولمة والتحرير الاقتصادي في العالم مما دفع البعض إلى وصف العولمة الاقتصادية بأنها عولمة التجسس الاقتصادي ، وجعل البعض الآخر يصف التجسس الاقتصادي بأنه تجسس اقتصادي عالمي .

" وقد أظهرت الدراسات أنه مع زيادة التنافس بين الدول والشركات زادت نفقاتها على التجسس الاقتصادي وجمع المعلومات عن الأسواق والشركات المنافسة محلياً ودولياً ، حتى وصل ما تنفقه الشركة الواحدة على عمليات التجسس الاقتصادي أكثر من مليار دولار سنوياً .

بل الأمر الذي يثير الاستغراب عند المراقبين هو كشف النقاب عن وجود شركات متخصصة في هذا المجال ، تركز نشاطها في تقديم هذه الخدمة إلى الشركات الصناعية والخدمية والحكومية مقابل أجر، وأن هذه الشركات لديها الكثير من العملاء الذين يطلبون هذه الخدمة . كما أنها توظف لديها العديد من الكوادر المدربة من المحاسبين والمراجعين والمحللين الاقتصاديين .

* التجسس الاقتصادي خدمة وطنية :-

تقوم الشركات المتخصصة في مجال التجسس الاقتصادي بما تقوم به من أعمال التجسس ، معتبرين نشاطهم نشاطاً مشروعاً ، ولا يخجلون منه بل يرون أن قيامهم بهذا العمل واجب وطني وخدمة عامة بحجة الدفاع عن المصالح القومية الاقتصادية في حالة التجسس على دولة أخرى ، أو في حالة التجسس على إحدى الشركات التي تنتمي إلى دول أخرى . وكذلك بحجة تقديم البيانات والمعلومات إلى العدالة في حالة التجسس على شركة وطنية لصالح شركة أخرى وطنية بينهما قضايا تتعلق بالمنافسة أو الاحتكار في السوق المحلية .

وهذا تماماً ما عبر عنه أحد الذين قاموا بالتجسس على شركة " مايكروسوفت " لصالح " أوراكل" المتنافستين في مجال البرمجيات في السوق الأمريكية في أثناء نظر قضية الاحتكار ضد الشركة الأولى ، حيث قال: " كل ما فعلناه كان محاولة للحصول على معلومات سرية وتسليط الأضواء عليها لخدمة العدالة ، وأعتقد أن ذلك خدمة عامة [١] .

* التجسس الاقتصادي في عالمنا العربي :-

لا يخفى على عالم ما يملكه الغرب من قدرات وتقنيات حديثة وشبكات إلكترونية ، وإنترنت مصنَّعة أصلاً عندهم بمواصفات خاصة ، حيث تستطيع دول التجسس اختراق اقتصاديات دول العالم الثالث التي لم تشارك في

---

[١] إسلام أون لاين http://www.islamonline.net/arabic/economics/ 2001/2/article6.shtml مقال بعنوان : عولمة التجسس الاقتصادي / حنان عبد اللطيف معهد التخطيط مصر .

صياغة الفكر التكنولوجي وصناعة الشبكات تلك ، وإنما تعاطت لتلك التقنيات من خلال التعامل من شاشات وأجهزة دون معرفة التقنية التي وضعت بالأساس من قبل شركات دول التجسس ، وهذه الأخيرة تعرف رموز تلك التقنيات دون غيرها .

ومن المسلم به أن دول العالم الثالث خاصة والتي تتعامل مع التقنية الحديثة هذه مهددة في أوضاعها الاقتصادية واستقرارها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، بسبب اقتنائها لشبكات التقنية الحديثة دون معرفة أو المشاركة في صياغة تركيبتها ، وكثيراً ما نسمع أن هناك فيروساً قد شل حركة العمل في أنظمة الحاسب الآلي في مؤسسة حكومية أو شركة اقتصادية وإنتاجية كبرى أو مصرف تجاري ما . ورأينا كم هي المبالغ التي دفعتها دول العالم الثالث لمواجهة مشكلة مفتعلة والتي أطلق عليها بـ (علة القرن) وبالتالي حجم المبالغ التي حصدتها الشركات المصنعة لشبكات الحاسوب – الكمبيوتر – من جراء تسويقها ونجاحها في تسويق علة القرن هذه ، وكم عاش العالم الثالث قلقاً حقيقياً في نهاية العام ١٩٩٩م .

وبسبب امتلاك دول العالم الصناعي لوسائل التجسس الاقتصادية الحديثة ، سواء البشرية من خلال تجنيدها لكوادر مدربة ومهيأة وقادرة أو من خلال امتلاكها لزمام الأمور في أجهزة التقنيات الحديثة ، وهي بالتالي امتلكت مفاتيح الفصل الاقتصادي في شركات ومؤسسات ودوائر الإنتاج في مختلف دول العالم ، ولم يعد هناك مكان لدول العالم الثالث ، ومنها دولنا العربية من الهيمنة التجارية والتبعية الاقتصادية في ظل الاستسلام التام في مواجهة فعل الدول الكبرى ضد دولنا في هذا العالم .

ولما أصبحت دولنا العربية جزءاً من الدول الخاضعة لشبكات التجسس الاقتصادي التي صنعتها دول النفوذ الكبرى ، أصبحت دولنا العربية أكثر قابلية لزرع عناصر التجسس الاقتصادي فيها ، سواء من خلال مواطنين ينتمون للدول العربية ، أو لمواطنين عرب تم زرعهم جواسيساً يعملون لصالح دول التجسس الأجنبية ، أو من خلال مراكز البحوث والمعلومات التي أصبحت تخدم أهداف التجسس الاقتصادي للدول الأجنبية .

* أشهر أساليب التجسس الاقتصادي :

تعددت أساليب التجسس الاقتصادي المخابراتي عبر الشركات المتخصصة أو الأفراد الممتهنين لهذا الفن ، لجمع المعلومات والحصول على الأسرار على الدول والشركات المستهدفة ، وهم في ذلك لا يلتزمون بأي أعراف أو مواثيق شرف أو قوانين ، بل من الممكن أن يتبعوا وسيلة مشروعة للوصول إلى بيانات يعتبر الحصول عليها غير مشروع أو غير مباح ،وقد سمعت اليوم الأربعاء ٢٠٠٢/٥/٢٨م من راديو منتوكارلو صباحاً في أقوال الصحف أن مديراً لشئون العاملين في شركة فرنسية أدين في المحكمة وغرم ٨٠٠٠ يورو للمدعي ، وثلاثة عشر ألف يورو أخرى ، لاعتدائه على القانون الذي منع وضع معلومات خاصة على الحاسوب عن شخص ما ، ولو كان عاملاً في الشركة نفسها ، وما ذلك إلا محافظة على عدم نشر المعلومات والتي تقع في يد من يفتح الحاسوب أو من يستطيع أن يستقي معلوماته بوسيلة إلكترونية محوسبة ، وعملية الدخول على حواسيب الآخرين ما عادت بالشيء الصعب على محترفي الجاسوسية .

وقد أثبتت الدراسات أن أشهر أساليب التجسس التي تتبع من الأفراد أو الشركات العاملين في هذا المجال هي :-

١- الحصول على نوعية وحجم الخدمات التي تقدمها الشركات والدول إلى الموظفين لديهم ، مثل خدمات العلاج والاشتراك في الأندية والمواصلات والمصايف والرحلات والتدريب وغيرها ، وهي تستخدم بكثرة في حالة رغبة إحدى الشركات في استقطاب الموظفين والعمالة من الشركات المنافسة لها ، وذلك بتقدم خدمات أفضل لينتقلوا إليها .

٢- الأبحاث الأكاديمية التي يقوم بها الطلبة للحصول على البيانات المطلوبة بطريقة أو بأخرى ، وفي الغالب تكون عن طريق العلاقات الشخصية .

٣- القيام بدور المتدرب الذي يحضر دورة تدريبية في الشركة المنافسة ، أو بدور المورِّد الذي يريد أن يتعرف على منتجات الشركة ، أو دور المشترك في أحد المعارض .

٤- استخدام الوسائل الإلكترونية للتصنت على الاجتماعات الخاصة بالإدارة العليا ، أو بتصوير خطوط الإنتاج أو الرسومات الهندسية والتصميمات ، أو الوثائق السرية أو القيام باعتراض أجهزة الفاكس أو التليفونات أو البريد الإلكتروني الخاص بهذه الشركة أو العاملين بها .

٥- سرقة الدفاتر والمستندات أو الحصول عليها عن طريق رشوة العاملين في هذه الشركات .

٦- فحص قمامة الشركات المنافسة وقمامة منازل العاملين بها ، للحصول على بيانات من خلال الأوراق والأوراق التي تلقى في هذه القمامة ، وتحليلها للكشف عن معلومات سرية ، وغالباً ما يتم تجنيد عمال النظافة في هذه الحالة .

* أشكال التجسس الاقتصادي في عالمنا العربي :-

نستطيع أن نجمل أشكال التجسس الأجنبي على اقتصادياتنا العربية أشكالٍ عديدة منها :

أولاً / ما جاء على هيئة الاستهلاك ، ونتيجة لذلك أصبحت أسواقنا مشرعة أمام السلع والمنتجات الاستهلاكية المصنعة في بلاد الغرب . كما أصبحت هذه السلع تزاحم السلع والمنتجات الوطنية بل تخرجها أحياناً من السوق ، وأصبحت أسواقنا وخاصة الخليجية مشرعة للسلع والمنتجات الأجنبية التي في كثير من الأحيان فقيرة الجودة ، أو مقلدة . وأمام تزايد السكان واستشراء الاستهلاك ، وغياب الوعي الاستهلاكي والاقتصادي ، أصبح المواطن العربي يشتري سلعاً يكتشف في بعض الأحيان أنه لا حاجة له فيها . أو أنها ليس على الدرجة المطلوبة من الجودة .

كيف وقد تسابقت الدول العربية خاصة الخليجية للتطبيع مع العدو الإسرائيلي ، وذلك عن طريق فتح مكاتب تجارية وفتح أسواقنا أمام البضائع الإسرائيلية ، وبوجه خاص الملابس ولعب الأطفال ، والتي ثبت استخدام بعض المعادن المنضبة باليورانيوم ، وتباع بأسعار مغرية منافسة للصناعات الغربية . وهذا مما زاد حالات السرطان بين الأطفال بصورة لم يسبق لها مثيل [1] .

كيف إذا عرفنا أن هدف التجسس الاقتصادي الأجنبي وخاصة الإسرائيلي ، لم يكن من منطلق تسويق منتجات فقط ، وإنما ضم إليه ضرب أي محاولة للتنمية الاقتصادية ، أو التخلص من التبعية أو تحقيق الاستقلال الاقتصادي وأصبحت أسواقنا مغرقة بالمنتجات والسلع الأجنبية ، فيما يتراجع الإنتاج الوطني أمام الواردات الأجنبية

[1] وزارة الصحة الفلسطينية د. الزعنون ، وزارة البيئة د. يوسف أبو صفية – لقاء تلفزيوني في القناة الفلسطينية ، شهر أبريل ٢٠٠٢ .

التي أصبحت تتدفق وبشكل كبير ، وأصبح الميزان التجاري يميل وبحدة لصالح دول أجنبية مارست تجسسها الاقتصادي في دولنا ونجحت ، وقضية ضرب إنتاج القمح في المملكة العربية السعودية بعد أن تم زراعته والاكتفاء الذاتي ، أغرقت أمريكا سوق السعودية بالقمح الأمريكي بأسعار مخفضة حتى كسرت المزارعين . ورجعوا إلى استيراد القمح الأمريكي .

وأمام جعل أسواقنا مشرعة أمام السلع الأجنبية ، سجلت صناعاتنا فشلاً ذريعاً من جراء المنافسة غير المتكافئة ، فيما سجلنا نحن العرب عجزاً كبيراً أمام تسويق منتجاتنا وسلعنا في أسواق الدول الكبرى ، وهكذا تأكد لنا أن مشاركتنا في ساحة الإنتاج الاقتصادي خلال الألفية الثالثة سوف تكون مشاركة هامشية ، وهذه إحدى نتائج إفساح المجال أمام التجسس الاقتصادي .

وهكذا استطاعت إسرائيل أن تسجل اختراقاً حقيقياً للأسواق العربية ، حينما تمكنت من إيصال سلعها بشكل مباشر بتصديرها إلى دول التطبيع مثل الأردن ومصر وقطر والإمارات وعمان ، أو بشكل غير مباشر من خلال حرص المستهلك العربي على شراء سلع إسرائيلية من أسواق أوربية أو أمريكية أو حتى خليجية . كيف إذا علمنا أن كثيراً من المصانع الإسرائيلية أغلقت أبوابها بفعل الانتفاضة المباركة ، ليقوم أصحابها بفتح مصانع لهم في الأردن ، ولا أدل على ذلك من إغلاق مصنع النسيج لصاحبه عمري بن شارون ابن رئيس وزراء الحكومة الإسرائيلية الحالي ، وبقي غيره من المصانع فاتحاً أبوابه ليعمل على مدار الساعة (٣ ورديات / ٢٤ ساعة) فانظر كم إنتاجه وانظر كم عاملاً يعمل في المصنع . ولو حاولنا أن نحصى المصانع التي افتتحت بعد اعتراف الأردن بدويلة بني صهيون وتطبيع العلاقات بينهما بعد معاهدة وادي عربة أواخر سنة ١٩٩٣م لوجدنا أن أكثر من ٧٥% من المصانع هي ليهود تحت أسماء معربة ، أو شركات صهيوعربية بشرط أن يكون أكثر من ٥٠% من رأس المال ليهود ، ويكون رئيس مجلس الإدارة لهم حتى يتحكموا في قرارات الشركة [٢] .

<u>ثانياً :</u> ما جاء على نحو زرع دول التجسس لعملائها من الخبراء والمستشارين وشركاتها واستثماراتها بهدف اختراق المجتمع الاقتصادي العربي ومحاولة تخريب محاولات التنمية والتطور. وأي استراتيجية يتم وضعها من قبل دولنا في إطار السعي نحو تحقيق هدف التخلص من التبعية ، وقد جندت دول التجسس خبراء أجانب ينتمون لها أو عملاء عرب موالين لها ويعملون لحسابها ويعملون في مؤسسات اقتصادية وشركات إنتاجية وسواء في المستوى التنفيذي أو الإشرافي ، أو حتى في الوظائف الدنيا ، وتمكن هؤلاء العملاء من الحصول على معلومات وبيانات كافية ، وتصديرها للدول التي تدفع لهم . واستغلت دول التجسس أصحاب الحاجة أو ذوي النفوس المريضة في تجنيدهم كعملاء يعملون لصالحها ، على الرغم من انفتاح أسواقنا ومؤسساتنا .

ثم جندت تلك الدول عدداً من بعثات المنظمات الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، والمنظمات التي تسير في فلك هاتين المنظمتين أو المنظمات التابعة للأمم المتحدة – مثل UNDP – Amideast – Usaid وغيرها – بهدف قيام هذه البعثات بتزويد دول التجسس عن أدق التفاصيل عن أوضاع اقتصادياتنا العربية ، لا سيما ونحن العرب نشرع دوماً سجلاتنا وملفاتنا لتلك البعثات لاستقاء المعلومات الهامة منها ومناقشتها دوماً في خططنا

---

[٢] دراسة قام بها الباحث / عن تمويل بناء (تدشين) السد العالي بضغط من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية والربيطانية ، مع العلم أن هناك دراسات جدوى مقنعة لدى البنك الدولي تثبت حدوي هذا السد .

واستراتيجياتنا وطموحاتنا وأهدافنا المستقبلية ، دون أن ندرك حقيقة تلك البعثات التي تخدم أهداف دول التجسس الاستعمارية والتي سوف تحول – كما كانت دوماً – بيننا وبين تنمية اقتصادنا العربي .

ولعل أوضح مثال تراجع البنك الدولي عن تمويل بناء (تدشين) السد العالي بضغط من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية والبريطانية ، مع العلم أن هناك دراسات جدوى مقنعة لدى البنك الدولي تثبت جدوى هذا السد .

***إسرائيل واستغلال تطبيع العلاقات مع مصر :**

لقد استغلت إسرائيل اتفاقيات ما يسمى بالسلام بينها وبين جمهورية مصر العربية ، لاستهداف الأخيرة من قبل الدولة العبرية ، وجعلها على رأس سلم أولويات المخابرات وتجسسها الاقتصادي .

وقد كشفت صحيفة الوفد المصرية المعارضة ، أنه تم ضبط أكثر من (٢٥) خمس وعشرين شبكة تجسس إسرائيلية في مصر ، خلال السنوات العشر الأخيرة . (٩) تسع شبكات منها تم ضبطها خلال السنوات الثلاث الأخيرة .

وقالت الصحيفة في تحقيق موسع : إن عدد جواسيس الموساد ، الذين تم تجنيدهم والدفع بهم نحو مصر ، بلغ حوالي (٦٤) أربعة وستين جاسوساً . (٧٥%) خمسة وسبعون في المائة منهم مصريون ، و (٢٥%) خمسة وعشرون بالمائة جواسيس إسرائيليون .

وأشارت الصحيفة إلى أنه طوال الخمسة والعشرين عاماً الماضية ، لم تضبط أجهزة الأمن المصرية إلا شبكات تجسس إسرائيلية ، فاستثناء حالة واحد تم ضبطها لحساب المخابرات الأمريكية .

وتؤكد تقارير الأمن المصرية أن (٨٦%) من جرائم التهريب وتزوير العملات في مصر ارتكبها إسرائيليون . في حين بلغت أعداد قضايا المخدرات المتهم فيها إسرائيليون أيضاً خلال عشر سنوات فقط ، نحو أربعة آلاف وأربعمائة وسبع وخمسين قضية . ومما يدلل على ذلك اعتراف مصدر إسرائيلي بأن مصر يدخلها نحو (٥٠٠) خمسمائة طن مخدرات سنوياً عن طريق إسرائيل .

وقد استغلت إسرائيل السياحة إلى مصر لتنفيذ مخطط تجسس لزعزعة الاستقرار فيها . وساعد على ذلك أن للإسرائيليين الحق بموجب اتفاقية كامب ديفيد في دخول سيناء بدون جوازات سفر ، أو تأشيرات لمدة أسبوعين، مما جعل عملية التسلل إلى داخل البلاد أمراً سهلاً ، ومن ثَمَّ تعددت الحوادث ، التي خطط لها ونفذها الموساد ضد مصر .

وتقوم إسرائيل عن طريق جهازها المخابراتي (الموساد) بتكثيف نشاطها التجسسي على مصر وذلك لهدفين :

الأول : لجمع المعلومات في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، واستخدامها ضد مصر في حالات السلم ، أو لتكون لديها كمعلومات تستخدم في حالات الحرب .

الثاني : زرع شبكات لها عن طريق تجنيد بعض المصريين سواء ممن كان سافروا إلى إسرائيل أو الذين لم يسافروا إليها . وفي حالة قيام حرب بين البلدين تكون لدى إسرائيل قاعدة كبيرة من الجواسيس جاهزة تماماً ومدربة بكفاءة عالية لإمدادها بما تريد من معلومات [٢].

---

[٢] – http:// news.ajeeb.com/Studies/ViewArticle.asp?Article ID=13702 مواقع إخبارية يوم الثلاثاء ٢٠٠٢/٦/٢٥م .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ يَأْثُرُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :"إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إِخْوَانًا وَلَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ ." [3]

أخرج الإمام مسلم في صحيحه

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكِيعٌ ح و حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ ح و حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ كُلُّهُمْ عَنْ الْأَعْمَشِ ح و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ فَقَالَ تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ قَالَ يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ اللَّهُ أَعْلَمُ إِنَّمَا كَانَ هَذَا أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنْ الْجَهْدِ وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ اللَّهَ لِمُضَرَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا فَقَالَ لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ قَالَ فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ قَالَ فَمُطِرُوا فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ قَالَ عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ قَالَ يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ ."[4]

وقد بينت رواية الإمام البخاري الرجل الذي جاء يتوسل إلى النبي ﷺ أن يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ، هو أبو سفيان بن حرب ﷺ .

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ فَقَالَ يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ فَفَزِعْنَا فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَغَضِبَ فَجَلَسَ فَقَالَ مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنْ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنْ الْإِسْلَامِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ

---

[3] – صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ، رقم الحديث ٤٧٤٧ . وأخرجه أيضاً في كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر رقم الحديث ٥٦٠٤ ، وفي باب " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم " رقم الحديث ٥٦٠٦ ، وفي كتاب الفرائض ، باب تعليم الفرائض رقم الحديث ٦٢٢٩ ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها رقم الحديث ٤٦٤٦ ، والإمام الترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في ظن السوء ، رقم الحديث ١٩١١ ، وأبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الظن ، رقم الحديث ٤٢٧١ ، والإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٧٥٢٠ ، والإمام مالك في موطئه رقم الحديث ١٤١٢ .

[4] – صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان ، رقم الحديث ٥٠٠٧ .

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ فَقَرَأَ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ إِلَى قَوْلِهِ عَائِدُونَ أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى يَوْمَ بَدْرٍ وَ لِزَامًا يَوْمَ بَدْرٍ الم غُلِبَتْ الرُّومُ إِلَى سَيَغْلِبُونَ وَالرُّومُ قَدْ مَضَى."[٥]

أخرج الإمام البخاري رحمه الله في كتاب المغازي باب ذكر النبي ﷺ من يقتل في بدر

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ كَانَ صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ فَقَالَ لِأُمَيَّةَ انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ أَوَيْتُمْ الصُّبَاةَ وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي فَقَالَ سَعْدٌ دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ قَالَ بِمَكَّةَ قَالَ لَا أَدْرِي فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ يَا أُمَّ صَفْوَانَ أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ قَالَتْ وَمَا قَالَ لَكَ قَالَ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ فَقُلْتُ لَهُ بِمَكَّةَ قَالَ لَا أَدْرِي فَقَالَ أُمَيَّةُ وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ قَالَ أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا صَفْوَانَ إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي تَخَلَّفُوا مَعَكَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي فَوَاللَّهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي فَقَالَتْ لَهُ يَا أَبَا صَفْوَانَ وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ قَالَ لَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ." [٦]

أخرج الإمام البخاري في صحيح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذر الغفاري ﷺ :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ فَقَالَ مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَمْسَى فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ

[٥] – صحيح البخاري ،كتاب التفسير ، باب قوله تعالى :" فلا تربو عند الله ..." رقم الحديث ٤٤٠١ . والحديث أيضاً أخرجه الإمام الترمذي في سننه ،كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة الدخان ، رقم الحديث ٣١٧٧ . والإمام أحمد في المسند رقم الحديث ٣٨٩٥ .

[٦] – صحيح البخاري ،كتاب المغازي ، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر ، رقم الحديث ٣٦٥٦ ، وعند الإمام أحمد في المسند رقم الحديث ٣٦٠٥ .

مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ قَالَ إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ قَالَ وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ثُمَّ عَادَ مِنْ الْغَدِ لِمِثْلِهَا فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ."[٧]

[٧] – صحيح البخاري ،كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذر الغفاري ﷺ ، رقم الحديث ٣٥٧٢ ، وصحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر ﷺ ، رقم الحديث ٤٥٢١ ، ومسند الإمام أحمد رقم الحديث ٢٠٥٤٦ .